الحضارة

ـ مفهومها ومقوماتها ـ

تتنوّع وتتباين مظاهرها حول العالم باختلاف الشعوب، وتختلف تعريفات الحضارة من مدرسة فكريّة إلى أخرى، فيقول البعض إنّ الحضارة هي الثقافة، بينما يرى البعض الآخر أنّ الحضارة أعم وأشمل من مفهوم الثقافة لدى الشعوب، ولكن من المؤكد أنّ الحضارات تتكون من اندماج عناصر أساسية هي الاقتصاد، والنظام السياسي، والعادات والتقاليد، وإنتاج العلوم والفنون، ويتاح للشعب إنتاج الحضارة الخاصة به في فترات الاستقرار وعدم وجود اضطرابات سياسيّة أو اقتصاديّة، وذلك لأن الإنسان يوجه طاقته نحو الأعمال الإبداعيّة أكثر كلما شعر بالأمان في الحياة.

1- الحضارة لغة واصطلاحاً:

الحضارة لغة:

تأتي الحضارة في اللغة على عدة معانٍ:

يقال: حَضَر يحْضَر حُضورًا وحضارة: ضد الغياب. ويقال: حكّمت فلانًا بحضرة فلان: أي بوجوده، كما يقال: كنا بحضرة ماء: أي عنده. ويشيع اليوم لفلان حضور متميز: أي وجود متميز. كما يقال: رجل حاضر وقوم حضور وحُضر: ضد الغياب. والحَضَارة: الإقامة في الحَضَر أي المدن.

الحضارة اصطلاحًا:

يعود أصلها الغربي إلى المدينة، وهنا يطابق الأصل العربي (الحاضرة) بمعنى المدينة، والمتحضر ساكن الحاضرة، وشاع في العربية: سكان الحواضر، وأهل الحواضر، في مقابل البادية وأهل البادية، لكن الاستعمال الغربي للحضارة لم يتبلور قبل القرن الثامن عشر.

تعريف (ديورنت) للحضارة : يقول : هي نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وتتألف من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد

الخلقـية، ومتـابعة العلـوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه، للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

الحضارة في المدلول الإسلامي:

إن الحضارة هي الحضور والشهادة بجميع معانيها، التي ينتج عنها نموذج إنساني، يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي، يتعلق بوحدانية خالق الكون، وواضع نواميسه وسننه، والمتحكم في تسييره، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هي في تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه وتحسينها، وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها، والانتفاع بميزاتها، وحسن التعامل مع المسخّرات في الكون، وبناء علاقة سلام معها، لأنها مخلوقات تسبح الله، أو رزق لا بد من حفظه وصيانته. كذلك إقامة علاقة مع بني الإنسان، في كل مكان على ظهر الأرض، أساسها الأخوة والألفة، وحب الخير والدعوة إلى سعادة الدنيا والآخرة .

عوامل قيام الحضارات :

قيام الحضارات الغربية

تختلف عوامل قيام الحضارات في الغرب عن الشرق في عدة نقاط، فقد نشأت الحضارات الغربيّة على محاولة التوفيق بين أمرين أساسيين وهما الإنسان والطبيعة من خلال فهم كل منهما على حدة وفهم طبيعة العلاقة بينهما، فظهرت المدارس الفكرية الفلسفية المختلفة كالمثالية والمادية، والتي صاحبها العديد من الاكتشافات العلميّة.

نحّى الإنسان الأوروبي والغربي بصفة عامة البعد الغيبيّ والإيمانيّ عن بناء الحضارة، واتجه إلى العلمانيّة والمذاهب العقلية التي ترى الصراعات الذهنية والتطوّر الطبيعي هما أساس تقدم البشرية، الأمر الذي ضخم من قدر الإنسان ومنحه المكانة الأهم والمرجعية الأولى في عملية بناء الحضارة.

يعد مقياس التقدّم والتفوق في الحضارة الغربية مقدار تحضر أخلاق الجماعة البشرية وسعيها إلى نشر مبادئ القيم الإنسانية بصورة شاملة، ورغم ذلك فإن العديد من المفكرين

الغربيين قد حصروا تلك الفكرة في حدود ضيقة اقتصرت على المجتمعات الأوروبية، وظلت المجتمعات الخارجة عنها مجرد أنماط تابعة للنموذج الأوروبي.

قيام الحضارة في الإسلام

على العكس من النموذج الغربي فقد ركّزت الأسس الإسلامية لقيام الحضارة على الموقف الإنسانيّ وإرادته، فقد خلق الله الإنسان لأداء دوره في عبادة الله وتعمير الأرض، وهو ما يعدّ أساس الحضارة في الإسلام.

النظرية المعرفية التي تحدد النموذج الفكري في الإسلام تختلف تماماً عن النموذج الغربي الذي ترك العالم الغيبي واهتم بالعلاقة بين المادة والعقل، والدين في الإسلام يمثل منهجاً وأحد أسس التفكير العقلي عند المسلمين، وهو يجمع بين جميع المؤمنين بالإسلام في كافة أنحاء العالم، ما يعيطه ميزة أكثر شموليّة من الأفكار الغربيّة المختلفة.

على الرغم من أن الإيمان في الإسلام يبدأ بالقلب، إلا أن تمثيل ذلك الإيمان لا يكون إلا بالفعل الصالح والذي هو إعمار الأرض ونشر تعاليم الإسلام السمحة، والأخلاق في الإسلام تمثّل حجر الزاوية في بناء المجتمع، وهي على العكس من النموذج الغربي نشأت من الوحي القرآني والتعاليم النبوية وليست محض نسبية.